خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد ذكرت لكم في الخطبة الماضية تخلُّفَ سيدنا كعب بن مالك وصاحبَيه من الصحابة عن غزوة تبوك وعتابه ﷺ لهم، فقد ذكر هذا الحدث سيدُنا المصلح الموعود أيضا ونصح الجماعة أيضا من هذا المنطلق، فقال:

لقد ورد في الأحاديث أن ثلاثة من المؤمنين أيضاً لم يشاركوا في هذه الغزوة، وورد ذكر أحدهم مفصلاً في الأحاديث. يقول ذلك الصحابي: عندما ذهبت إلى رسول الله ﷺ بعد عودته، سألت الناس: أخبِروني، هل جاء آخرون ممن تخلفوا أم لا؟ وما هي الأعذار التي قدموها؟ وما هي المعاملة التي تلقَّوها؟ فأخبروني أن الناس يأتون ويعتذرون قائلين: يا رسول الله، ادع لنا بالمغفرة، فهو ﷺ يدعو لهم.

يقول هذا الصحابي أي سيدنا كعب بن مالك: خطر ببالي أن أقدم أيضاً عذراً وأنجو من العقاب، لكن خطر ببالي أن أسأل الصحابة: من هم الذين جاءوا معتذرين؟ فلما ذكروا الأسماء، كانوا كلهم منافقين، وذكروا اسم مؤمنَيْن فقط وقالوا إنهما لم يعتذرا بل اعترفا بخطئهما. عندها قلت في نفسي: لماذا أنضم إلى المنافقين؟ فبدلا من تقديم عذر وهو لا يعدّ عذرا في الحقيقة، من الأفضل، أن أقول له ﷺ بصراحة: لقد أخطأتُ، فافعل بي ما تريد.

ففور نشوء هذه الفكرة قررت الاعتراف بالذنب، وبذلك أنقذني الله تعالى من الدخول في المنافقين. فذهبت إلى رسول الله ﷺ وقلت له بصراحة: لقد تخلفت بسبب الكسل والغفلة، ولم يكن لي عذر حقيقي.

فقال رسول الله ﷺ: سيُقطع التعامل معك حتى يأتي أمر الله تعالى بشأنك.

كان اسم هذا الصحابي كعب بن مالك، فهو يقول: لقد سبب لي هذا ألما شديدا، لأن جميع سكان المدينة كانوا مسلمين، أما المنافقون منهم فلم يكن أحدهم ليتشجع على التحدث معنا.

هذا موجز الحدث، وقد بينت التفاصيل في الخطبة السابقة. لقد ذكر سيدنا المصلح الموعود هذا في الخطبة، ثم نصح أبناء الجماعة من هذا المنطلق كما قلت قبل قليل، فقال حضرته ﷺ:

أما هنا أي في قاديان فقد لاحظت – وهذا كان في عام ١٩٣٦- أن الذين يُحظر التحدث معهم عقابا لهم، فهم يدخلون بيوت الأحمديين في الأحياء، ولا يعلم أهل الحي، كأنهم نائمون ولا ينتبهون لدخولهم. بعض الأحمديين هنا يربّون الأفاعي، لكن عليهم أن يتذكروا أن هذه الأفاعي لا تستطيع أن تلدغ اللهَ ولا رسوله ولا الخليفة. إنما ستلدغ من يربّونها فقط. أما نحن فمحفوظون بفضل الله تعالى، لأن من يأخذه الله تعالى في حمايته، فمن يستطيع أن يلدغه؟ إنها ستلدغ حصرا من تستطيع لدغهم، ومن المؤسف أنهم يتغاضون عن تصرفات هذه الأفاعي رغم رؤيتهم لها.

في ذلك الزمان كانت قد ظهرت بعض الفتن التي دفعت حضرته لهذا التصريح.

يتابع حضرته ويقول: باختصار لم يكن يستطيع الكلام معهم في المدينة حتى المنافقون.

يقول سيدنا كعب بن مالك ﷺ: بعد أيام قليلة من هذا الأمر، بلغَنا أن رسول الله ﷺ أمر زوجاتنا وأولادنا بأن ينفصلوا عنا. كان أحدنا نحن الثلاثة شيخاً كبيراً، فذهبتْ زوجته إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يا رسول الله، إن زوجي قد مات حياً، لا يأكل ولا ينام، وبسبب كبر سنه يحتاج المساعدة في كل حين. أما العلاقات الزوجية فلم يكن قادراً عليها سلفا، فهل تأذن لي بمساعدته في الأكل والشرب؟ فقال ﷺ: حسناً، هذا ما أسمح لك به.

يقول كعب ﷺ: خطر ببالي أن أطلب مثل هذا الإذن لنفسي أيضاً، ثم خطر لي أن ذلك ليس مناسبا لأنه شيخ كبير وأنا شاب. فقلت لزوجتي: اذهبي إلى أهلك، لأني أخشى أن أناديك فتستجيبين لي، أما غيرها فلم أكن أفكر أنه يمكن أن يكلمني. إلا أنني كنت أتوقع نظرا لحب النبي ﷺ وعطفه علي أن يرحمني حتما على مصابي، لذلك كنت أذهب إلى مجلسه وأقول بصوت عالٍ: السلام عليكم، ثم أنظر هل تتحرك شفتاه أم لا، لكنه لم يكن يرد، وكنت أقوم مضطربا وأنصرف، وأقول في نفسي، لعل شفتيه تحركتا لكني لم أستطع رؤية ذلك، فكنت أغادر المجلس ثم أعود وأقول بصوت عالٍ: السلام عليكم، وأنظر إلى شفتيه، ثم أقوم وأذهب ثم أعود، لكنه لم يكن يردّ، إلا أنه كان ينظر إلي أحياناً من طرف خفي.

يقول: عندما مرت أيام كثيرة، ذهبت إلى ابن عمي الذي كنت دائماً آكل وأشرب معه وأصاحبه، وكان يعمل في بستانه. فقلت له: يا أخي، أنت كاتم سري، كنا دائماً معاً ولا شيء بيننا مخفي عن الآخر. أنت تعلم جيداً أني مسلم مخلص وليس فيَّ عرق من النفاق. جئتك اليوم مضطرب البال لأسألك: هل أنا منافق؟ لكنه لم يجب، وإنما رفع بصره نحو السماء فقط، وكان معنى ذلك أن الله ورسوله أعلم.

يقول: عندما أجابني هذا الأخ الذي كان كاتم سري بهذا الجواب، شعرت أن الأرض قد ضاقت علي، فقفزت من فوق جدار البستان وخرجت، ومشيت كالمجنون نحو المدينة. وعندما اقتربت من المدينة، جاءني

شخص وسألني: هل أنت فلان؟ قلت: نعم. فأعطاني رسالة قائلاً: أرسلَها الملك الفلاني- وكان ملكاً عربياً نصرانياً تحت الحكم الروماني- ففتحتُها وقرأتها، فكان مكتوباً فيها: نعلم أنك من زعماء العرب وأن محمداً (ﷺ) أذلَّك، مع أنه كان ينبغي أن يقدرك. إن جئتني فسأعاملك معاملة تليق بشأنك.

يقول كعب: عندما أجابني أخي – أي حين ذهب إلى بستان ابن عمه – كانت نفسي تتوجس من ذلك، وكنت فزعا. ثم حين رأيت تلك الرسالة أصابتني صعقة، وقلت في نفسي، هذه آخر هجمة من الشيطان، وحذار أن تزل قدماك. فقلت للرسول: اتْبعني، وأتيت حيث كان رجل يُشعل فرناً، فمزقت تلك الرسالة وألقيتها في النار، ثم قلت له: قل لملكك هذا هو الجواب.

كانت هذه آخر ساعات ابتلائه ومصيبته. فرحمه الله تعالى أخيراً وأمر رسول الله ﷺ أن يعفو عنه.

وقال المصلح الموعود ﷺ في موضع آخر: كم هي مليئة بالعبر والدروس قصة كعب بن مالك ﷺ. لقد شهد مع النبي ﷺ كل الغزوات حتى فتح مكة أيضا، لكنه تخلَّف عن غزوة تبوك كسلًا، فعاقبه النبي ﷺ عقوبة شديدة حتى إنه ﷺ لم يكن يردّ عليه السلامَ، ونهى المسلمين كلهم عن الكلام معه، حتى فصل عنه زوجته أيضا. وبينما هو في هذه الحالة جاءه رسولُ ملكِ غسّانَ برسالة قال فيها: «إن صاحبك أهانك، فتعالَ إلينا». فقال كعب في نفسه: هذا آخر هجوم من الشيطان، فألقى الرسالة في التنور، وقال لرسول المِلك: قل لصاحبك هذا هو جواب رسالته.

يقول حضرة المصلح الموعود: ولكن الناس اليوم، (أي مِن جماعتنا) إذا تمت مساءلتهم ومؤاخذتهم على خطأ منهم قالوا: لم تُقدَّر خدماتنا ولم تُراعَ مكانتنا. فليكن معلوما أن النظام شيء، والعمل شيء آخر، ومن أخطأ فلا بد من مؤاخذته، أيا كان، لتوطيد النظام. فعملاً بأمر الله تعالى ابذلوا في سبيل دينه جهودا تجعل الشيطان يهرب، ولكن لا تبذلوا هذه الجهود طمعًا في المدح والثناء، ولا تظنوا بعد العمل أنكم ستُعفَون من المساءلة على أخطائكم. ثم لا تمنُّوا على الله بخدمة دينه، ولا تلجأوا إلى المن والأذى. واستخدموا كل وسيلة لخدمة الإسلام، ولا تمنّوا بل اخدموا ابتغاء مرضاة الله تعالى.

لقد قال المصلح الموعود ﷺ هذا الكلام في خطبة في أوائل خلافته، أما الاقتباس الذي قبله فكان من خطاب ألقاه عام ١٩٣٦.

وبعد العودة من تبوك جاء أهل الطائف أيضا طائعين. كانوا يحاربون من قبل، أما الآن فجاءوا واحدا بعد الآخر يستأذنون للعيش منقادين تحت الدولة الإسلامية، فما هي إلا فترة يسيرة حتى أخذت راية الإسلام ترفرف على كل أنحاء الجزيرة العربية.

وبعد العودة من غزوة تبوك وقعتْ سريةٌ تسمَّى سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى بني عبد المدان من بني الحارث بن كعب ناحيةَ نجران. وعبد المدان – الذي تنسب إليه هذه القبيلة –كان الجدَّ الأكبر لبني الحارث، واسمه الحقيقي عمرو بن يزيد.

وبحسب رواية ابن سعد: وقعت هذه السرية في ربيع الأول سنة ١٠ هـ، ويرى ابن هشام أنها وقعت في ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة ١٠ هـ. وذكر حضرة مرزا بشير أحمد في كتابه «سيرة خاتم النبيين» أن بعث خالد بن الوليد إلى نجران كان في ربيع الأول ١٠ هـ.

على كل حال، لقد ورد في تفاصيل هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ﷺ أن يدعو هؤلاء القوم إلى الإسلام قبْل أن يقاتلهم فقال فإن استجابوا لك فاقبَله منهم، وإلا فقاتلْهم (أي أنهم حتى إذا سعوا لقتالك فادعُهم إلى الإسلام ثلاث مرات، وإن أصروا على القتال فقاتِلْهم). وهذا ما فعل خالد ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام، فأسلموا جميعا بالدعوة ودون قتال. فأقام خالد ﷺ بين ظهرانيهم وعلّمهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهذا ما أمره به النبي ﷺ.

ثم إن خالدا ﷺ أرسل رسالة إلى رسول الله ﷺ كتب فيها: "إلى محمد رسول الله ﷺ، مِن خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو. أما بعد: لقد بعثتَني يا رسول الله إلى بني الحارث، وأمرتني أن أدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فإن أسلموا أقمتُ بينهم أعلّمهم أحكام الإسلام والقرآن الكريم وسنة رسول الله، وإن أبوا الإسلام قاتلتُهم".

علمًا أن هناك أمورا لا تذكر مفصلةً في موضع، ونجد تفاصيلها في مواضع أخرى. إن الإسلام لا يعلّم إكراه أحد على الإسلام بالقوة، وإنما المراد من قوله ﷺ هذا لخالد ألا يعقد معهم أي معاهدة، وإذا قاتلوه جاز له قتالهم. على كل حال، يتابع خالد ﷺ في رسالته ويقول: "فقدِمتُ عليهم ودعوتُهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرتَني، وبعثتُ الخيلَ إليهم تنادي: يا بني الحارث «أسلِموا تسلَموا»، فأسلموا وقبلوا دعوة الإسلام وامتنعوا عن القتال".

لقد تبين من هذه الفقرة أيضا بكل جلاء أن المسلمين كفوا عن القتال ولم يبدأوا به لأن العدو أيضا لم يقاتلهم، ولم يكن المسلمون قد ذهبوا لقتالهم بل ذهبوا لدعوتهم إلى الإسلام، فدعوهم إليه. ثم كتب خالد ﷺ: وأنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهى الله عنه، وأنتظر ما تأمرني به لأعمل بحسبه. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب رسول الله ﷺ إلى خالد ﷺ في الجواب: " بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث قد أسلموا قبْل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الاسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشّرْهم بثواب الله وأنذرْهم بعذاب الله، وأَقْبِلْ إلينا ولْيُقْبِلْ معك وفدُهم.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته".

فلما قرأ خالد أوامر النبي ﷺ أقبلَ مع وفد بني الحارث إلى رسول الله ﷺ، وهذه أسماؤهم: قيس بن الحُصين، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحَجَّل، وعبد الله بن قُراد، وشدّادُ بن عبد الله، وعمرو بن عبد الله. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم قال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟". قيل يا رسول الله: هؤلاء مِن بني الحارث. فسلّموا على رسول الله ﷺ وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: "وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"، ثم قال: "أأنتم الذين إذا قاتلتم العدو هزمتموه؟". فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة فلم يراجعه منهم أحد. ثُمّ أَعَادَهَا الرّابِعَةَ، "أأنتم الذين إذا قاتلتم العدو جعلتموه يهرب؟" أي تظنون أنكم ذوو قوة ومنعة جدا. عندها قال يزيد بن عبد المدّان: «نعم يا رسول الله، نحن إذا لقينا العدو هزمناه»، وكرّرها أربع مرات أننا محاربون وشجعان لكن هنا حدث معنا ما ترى. فقال النبي ﷺ: «لولا أن خالدًا كتب إليّ أنكم أسلمتم لجعلت أعناقكم تحت أقدامكم».

فقال يزيد بن عبد المدان: ما نشكرك ولا خالدًا! (كان حديث العهد في الإسلام، لذلك قال لا نشكرك) قال ﷺ: «فمن تشكرون؟» قال: نشكر الله الذي هدانا بك يا رسول الله ﷺ. (كان جوابه جيدا جدا) فقال النبي ﷺ: «صدقتم». ثم قال ﷺ: «بم كنتم تغلبون عدوكم في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقاتل العدو مجتمعين متحدين. كانوا يرون أننا لو قاتلنا متحدين لانتصرنا حتما ولن يتمكن العدو من هزيمتنا، وعندما جاء الإسلام ووحَّد جميع القبائل، وأصبحت القبائل المختلفة كالنفس الواحدة، عندها أدركوا أن هؤلاء القوم أيضًا قد اتّحدوا، فالأفضل ألا يحاربوهم، بل ليس هذا فقط بل عليهم أن يقبلوا الإسلام، لأنه هو الدين الحق.

ولّى النبي ﷺ قيس بن الحصين أميرًا على بني الحارث، ثم سرّحهم في آخر شوال أو أول ذي القعدة سنة ١٠ هـ. وبعد أربعة أشهر من وصولهم إلى قومهم توفّي رسول الله ﷺ. (السيرة النبوية لابن هشام)

آخر غزوة غزاها النبي ﷺ هي غزوة تبوك، وآخر جيش أو سرية أرسلها هي جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه. وقد بيّنتُ تفاصيل جيش أسامة سابقًا حين تناولتُ ذِكره وذِكر أبي بكر رضي الله عنه إلا أنني سأذكر هنا شيئا منها مع الخلفية.

ورد في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ (وهو يتحدث عن جيش خرج قبل جيش أسامة) أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ. (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب خالد بن الوليد)

عند عودة النبي الكريم ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، حينها لم يبقَ أي خطر يهدد أهل المدينة من جهة الجنوب. ولكن من الجهة الشمالية، ظل الخطر قائمًا من قِبل الروم، لأنهم كانوا لا يزالون يتباهون

بقوتهم العسكرية، لذا كان يُخشى أن يهجموا في أية لحظة. وكذلك، كان لا بد من الأخذ بثأر شهداء غزوة مؤتة، لأن جيش المسلمين في تلك الغزوة تمكن من العودة إلى المدينة سالمًا بفضل براعة وحنكة خالد بن الوليد ﷺ. فما كادت تمضي أيام قليلة بعد أن قدم النبي ﷺ إلى المدينة من الحج، حتى أمر ﷺ بتجهيز جيش بقيادة أسامة بن زيد ﷺ لمهاجمة الشام.

كَانَ تَجْهِيز أُسَامَة يَوْم السَّبْت قَبْل مَوْت النَّبِيّ ﷺ بِيَوْمَيْنِ، وَكَانَ اِبْتِدَاء ذَلِكَ قَبْل مَرَض النَّبِيّ ﷺ، فَنَدَبَ النَّاس لِغَزْوِ الرُّوم فِي آخِر صَفَر، وَدَعَا أُسَامَة فَقَالَ: "سِرْ إِلَى مَوْضِع مَقْتَل أَبِيك فَأَوْطِئْهُمْ الْخَيْل، (اذهب إلى حيث استُشهد زيد في حرب سابقًا وأوطئ الأعداء الخيل) فَقَدْ وَلَّيْتُك هَذَا الْجَيْش". (فتح الباري)

وفي رواية أخرى أن النبي الكريم ﷺ قال: "اُرْكُسُوا[1] بَلْقَاءَ وَدَارُومَ بِالْخَيْلِ." البلقاء: منطقة في بلاد الشام بين دمشق ووادي القرى. داروم: موضع في فلسطين بعد غزة في طريق مصر.

وقال النبي ﷺ وهو يُخرج جيش أسامة إلى بلاد الشام: "أَغِرْ صباحًا على أهل أبنى. (أبنَى: موضع في الشام نحو بلقاء) قال: وأَسْرِعْ السير تسبق الأخبار فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذْ معك الأدِلّاء، وقدِّم العيون والطلائع أمامك".

عقد ﷺ لأسامة لواءً بيده. ثم قال: "اغزُ بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا تتمنوا لقاء العدو" (هذه الجملة تشير إلى أن الخطر كان من العدو لأن القتال غير مسموح إلا إذا سلَّطه عليكم العدو، أما أنتم فلا تتمنوا القتال) قال: "فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولوا: اللهم اكفِناهم بما شئت واكفف بأسهم عنا"، (علَّم النبي ﷺ في هذا الدعاء أن الحرب ليست ضرورية بل إذا كان إلغاؤها ممكنا فألغوها) "فإن لقوكم وأثاروا الشغب مجتمعين فعليكم بالسكينة والصمت" (واجهوهم بالصمت والسكينة) "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" (أنشئوا الوحدة بينكم) "وقولوا: اللهم إنا نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغنيهم أنت واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف". (سبل الهدى والرشاد)

خرج أسامة ﷺ بالراية التي عقدها له رسول الله ﷺ بيده، وسلّمها إلى بُريدة بن الحُصَيب ﷺ، وجمع الجيش في الجُرْف. الجُرْف: موضع على ثلاثة أميال شمال المدينة المنورة.

ولم يبقَ من وجوه المهاجرين والأنصار أحد إلا استُنفر لهذه الغزوة، منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسَلمة بن أسلم ﷺ. (جعلهم جميعا تحت إمارة أسامة)

بدأ بعض الناس يتحدثون فقالوا: يُؤمَّر هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟ (هناك الصحابة الكبار فأُمّر عليهم هذا الغلام) فغضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا (حين بلغه هذا الحديث)، وكان رأسه معصوبًا

---

[1] أركس العدو: أي قلبه وأوقعه في الاضطراب والهزيمةٍ.

بعصابة وعليه لِحاف، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس، بلغني قول بعضكم في تأميري أسامة. ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبلُ، وأيم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن ابنَه من بعده لخليق للإمارة، وإنه لمن أحب الناس إليّ، وإن كليهما لحقيق أن يُستَصْلَحَ له في كل خير، فاستوصوا بأسامة خيرًا، فإنه من خياركم".

كان المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودِّعون رسول الله ﷺ ثم يخرجون إلى الجُرْف للالتحاق بالجيش. اشتد مرض رسول الله ﷺ ولكنه ظل يُوصي: "أرسلوا جيش أسامة، فليذهب في كل الأحوال". في يوم الأحد ازداد وجع النبي ﷺ، فرجع أسامة من الجُرْف، فوجد النبي ﷺ مغشيا عليه (عندما اشتد مرض النبي ﷺ أُخبر به أسامة) فسقاه الناس دواءً. قبَّل أسامة ﷺ خافضا رأسَه رسولَ الله ﷺ وهو لا يتكلم، فرفع النبي ﷺ يديه إلى السماء ثم وضعهما على رأس أسامة. فقال أسامة: ففهمتُ أنه يدعو لي. ثم عاد أسامة إلى الجيش. وفي يوم الاثنين رجع مرة أخرى فوجد النبي ﷺ قد أفاق قليلاً، فقال له النبي ﷺ: "انْفُذْ بإذن الله وبركته".

استأذن أسامة ﷺ وانصرف إلى جيشه وأمر الناس بالرحيل، فما كاد يُعلن التحرك حتى جاءه رسول من أمّ أيمن رضي الله عنها يقول: إن رسول الله ﷺ في النزع. فرجع أسامة مسرعاً وعمر وأبو عبيدة معه، فدخلوا على النبي ﷺ وهو في السَّوْق (أي سكرات الموت)، فما لبث إلا قليلاً حتى تُوفِّي ﷺ. فعاد الجيش من الجُرْف إلى المدينة، وحمل بُريدة بن الحُصَيب ﷺ راية أسامة وغرزها بباب رسول الله ﷺ.

وفي رواية أخرى أن جيش أسامة كان في "ذو خُشُب" حين وصل خبر وفاته ﷺ. (ذو خُشُب وادٍ على مسافة ليلة من المدينة في طريق الشام)

فلما بويع أبو بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ أمر بريدةَ بن الحصيب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه، فمضى به بريدة إلى معسكرهم الأول. وقيل إن عَدَد هَذَا الْجَيْشِ كان ثَلَاثَة آلَافِ مُقَاتِلٍ، فِيهِمْ أَلْفُ فَارِسٍ. وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ أمر أسامة بن زيد رضي الله عنهما بالخروج إلى الشام في سبعمائة مقاتل.

وفي رواية أخرى: أن أبا بكر الصديق ﷺ، في اليوم الثاني من وفاة رسول الله ﷺ، أي يوم الأربعاء ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ، نادى في الناس:"لا يبقينَّ أحدٌ ممَّن كان في جيش أسامة بالمدينة، ليلحقَنَّ بجيشه في الجُرْف!"

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: عندما توفّي رسول الله ﷺ ارتد العرب وقلق الشجعان مثل عمر وعلي رضي الله عنهما أيضا نظرا إلى هذه الفتنة. كان النبي ﷺ قد أعَدّ جيشا قُبيل وفاته لغزو الروم وأمّر عليه أسامة ﷺ، ولكنه ﷺ توفّي قبل رحيل الجيش. عندما ارتدَّ العرب بعد وفاته ﷺ فكّر الصحابة أنه إذا أُرسل جيش أسامة إلى بلاد نائية في هذه الحالة من التمرد فلن يبقى في المدينة إلا العجائز والأطفال والنساء، ولن تكون هناك أسباب كافية لحماية المدينة. فاتفقوا على أن يذهب وفد من كبار الصحابة إلى أبي بكر

ﷺ ويلتمسوا منه ألا يُرسل الجيش إلى أن يخمد التمرُّد. فذهب إليه عمر والصحابة الكبار الآخرون وقدّموا هذا الطلب. سمع أبو بكر ﷺ اقتراحهم وردّ عليهم غاضبا: هل تريدون أن يكون أول عمل ابن أبي قحافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يوقف جيشا أمر ﷺ بإرساله؟ ثم قال: والله لو اقتحم جيش العدو المدينة ونهشت الكلاب جثث المسلمين والمسلمات لن أوقف جيشا أمر رسول الله ﷺ بإرساله.

لقد نشأت هذه الشجاعة والبسالة في أبي بكر ﷺ لأن الله تعالى يقول: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. فكما أن السلك العادي عندما يتصل بالكهرباء تتولد فيه قوة عظيمة كذلك صار أتباع النبي ﷺ مصداق: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ نتيجة علاقتهم به ﷺ.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن رحيل جيش أسامة في تأليفه المنيف "سر الخلافة": قال ابن الأثير في تاريخه: لما توفّي رسول ﷺ ووصل خبره إلى مكة وعامِلِه عليها عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ ، استخفى عتاب وارتجّت مكة وكاد أهلها يرتدون.

وورد أيضا: ارتدت العرب إمّا عامة أو خاصة مِن كل قبيلة، وظهر النفاق واشرأبّت اليهود والنصرانية، (أي كانوا يتوقعون أن المسلمين قد ضعفوا الآن ويمكن أن يهاجموهم) وبقي المسلمون كالغنم في الليلة الممطرة، (أي تكون الشياه والأغنام مبللة بسبب المطر ويصعب عليها التحرك) لِفَقْد نبيّهم وقِلّتهم وكثرة عدوّهم، فقال الناس لأبي بكر: إن هؤلاء يعنون جيش أسامة جند المسلمين، والعرب على ما ترى فقد انتفضتْ بك، فلا ينبغي أن تُفرِّق جماعة المسلمين عنك، فقال أبو بكر ﷺ: والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذتُ جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ.

باختصار، لقد حافظ أبوبكر ﷺ على أمر رسول الله ﷺ ونفّذه حق التنفيذ، وأمر الصحابة الذين كانوا في جيش أسامة بالالتحاق بالجيش. وقال كل من كان في جيش أسامة من قبل وأمره رسول الله ﷺ بالانضمام إليه، يجب ألا يتخلف بأية حال، ولن أسمح له بالتخلف، حتى لو اضطر للذهاب راجلاً فليذهب معهم حتما، فلم يتخلف عنه أحد. أي انطلق الجميع.

على أية حال، فقد ورد عن إرسال أبي بكر ﷺ هذا الجيش أنه عندما اجتمع جيش أسامة في موضع الجُرْف بحسب أمر أبي بكر ﷺ، ذهب أبو بكر ﷺ بنفسه إلى هناك واستعرض الجيش ونظّمه. ويُذكر أيضا بهذا الشأن أن أبا بكر ﷺ قال لأسامة ﷺ: إن رأيت مناسبا، فاتركْ عمر ليساعدني في أموري، لأن عمر ﷺ كان ضمن الجيش، فأذن له سيدنا أسامة ﷺ.

وبعد هذه الواقعة كان عمر ﷺ كلما لقي أسامة – حتى بعد أن صار خليفة – يقول: "السلام عليك أيها الأمير"، فيرد أسامة: "غفر الله لكم."

ثم قال أبو بكر ﷺ لأسامة: اعمل بما أمرك به رسول الله ﷺ ولا تُقصر في تنفيذ أوامره.

لقد سبق ذكر تفصيل هذه الحرب فأتركه.

لقد رجع هذا الجيش منتصرًا، كما قال رسول الله ﷺ. وقُتل العدو أو أُسروا، ولم يُصب مسلم بأذى في هذه الحرب.

ووفقًا للروايات، بقي هذا الجيش خارج المدينة ما بين أربعين إلى سبعين يومًا ثم عاد إلى المدينة.

وكان لحبّ أبي بكر ﷺ لرسول الله ﷺ أثرٌ عظيم، كان النبي ﷺ قد عقد لواء أسامة بيده الكريمة، فقال أبو بكر ﷺ: كيف يحلّ ابن أبي قحافة عقدة عقدها رسول الله ﷺ بيده؟

فلم تُحلَّ عقدة ذلك اللواء عند عودة جيش أسامة، وبقي اللواء بعد ذلك في بيت أسامة بن زيد ﷺ حتى تُوفّي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.

بهذا يكون قد انتهى موضوع الغزوات. وسأتناول إن شاء الله في المستقبل بعض الجوانب الأخرى من السيرة النبوية.

أما الآن فأريد أن أذكر مرحومَين اثنين، وسأصلّي عليهما الجنازة بعد الجمعة إن شاء الله.

الأول هو السيد عزيز الرحمن خالد، داعية الجماعة، الذي توفي قبل أيام في أمريكا عن عمر يناهز تسعا وسبعين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان جدّه لأمه حضرة ميان رنغ علي ﷺ من أصحاب حضرة المسيح الموعود عليه السلام.

أما قصة دخوله الجامعة الأحمدية : يقول المرحوم إنه كان في الصف السابع، حين جاء حضرة قاضي محمد نذير يومًا إلى الاجتماع المدرسي في ثانوية تعليم الإسلام، وألقى محاضرة حول ضرورة وقف الحياة للجماعة وأهميته، فتأثر بها كثير من الطلاب تأثرًا بالغًا. فلما انتهت المحاضرة، انتاب المرحوم حماس عظيم لوقف حياته، فذهب مباشرة إلى الجامعة، وبعد مقابلة قصيرة، قُبل في الجامعة الأحمدية عام ١٩٦٠م، وتخرج منها عام ١٩٦٩م بشهادة الشاهد. استغرق تخرجه من الجامعة تسع سنوات لأنه تعرض لحادث قطار أصيب فيه بجروح بالغة، فاضطر إلى التوقف عن الدراسة سنتين كاملتين، لكنه لم ييأس، وحفظ الله له حياته. كان يقول دائمًا: نجوت بدعاء خليفة المسيح الثالث رحمه الله. وبعد التخرج عمل داعية في سيراليون ونيجيريا وغانا وتنزانيا وزنجبار وغيرها من البلدان الخارجية، ثم خدم كداعية في باكستان في عدة أماكن، وبعد عودته من الخارج ظلّ يخدم في وكالة النشر والإشاعة في التحريك الجديد بربوة.

يقول حفيده السيد حمزة عبيد الله وهو أيضا تخرج من الجامعة الأحمدية ويعمل داعية: كان المرحوم عزيز الرحمن يروي أنه في أفريقيا كان يضطر أحيانًا لأن يسلق الأرز ويرش عليه الملح فقط ويأكله، ولا يوجد مرق أو طعام آخر، وكانت تمر به أيام لا يجد فيها حتى الأرز المسلوق، بل يبيت جائعًا أيامًا متتالية. هكذا كان الدعاة الأوائل يعملون، ويجب على الدعاة في هذا العصر أيضا أن يضعوا هذا الأمر نصب أعينهم.

يقول ابنه السيد أنيس الرحمن: لم يكن والدي يدع الطعام يضيع أبدًا. وفي أيام الجلسة السنوية كان أحيانًا يأكل بقايا الخبز المتناثرة على الموائد بدلا من أن يُحضر لنفسه طعامًا في الصحن، وكان يقول: إذا كان المسيح الموعود عليه السلام يأكل بقايا الخبز، فلماذا لا نأكلها نحن؟

كان منذ شبابه قائمًا لصلاة التهجد، كان حسن الخلق، بشوشًا، مواسيًا، صالحا ومجتهدًا، ووفيًا، كان يرتبط بالخلافة بأواصر المحبة والتقدير. وكان موصيًا أيضًا.

عندما كنتُ في غانا، كان يعمل هناك، ولقد عمل بوفاء عظيم واجتهاد وتواضع وبعاطفة نكران الذات. خلّف ابنين وثلاث بنات، وعددًا كبيرًا من الأحفاد والحفيدات.نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، ويرفع درجاته في الجنة.

الجنازة الثانية هي للسيد إيدي حميدي من إندونيسيا، والذي توفي يوم ٢٢ نوفمبر الماضي، لقد مرض فجأة بعد أن حظي بشرف أداء العمرة، ثم تُوفّي إثر مرضه هذا في المدينة المنورة عن عمر يناهز سبعًا وسبعين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون.

دخلت الأحمدية عائلته في ثلاثينيات القرن الماضي، عندما بايع خاله السيد محمد رؤوف على يد مولانا رحمت علي رضي الله عنه، ثم بايع جده ووالدته بعد ذلك.

يقول صهره السيد بسوكي أحمد وهو داعية الجماعة:

كان شغوفًا بالدعوة ليل نهار، وكان يتمنى أن يموت في سبيل التبليغ. كان حديثه عن التبليغ كلما التقينا، وأسلوبه في الدعوة كان باعثًا للحماس عند كثير من الدعاة.

تكتب بناته:

كان يذهب إلى المسجد قبل الأذان، ويقضي وقته في ذكر الله. كان يتلو القرآن يوميًا، ثم يقرأ ترجمة معاني القرآن وتفسيره، ويضع علامات على الآيات المهمة للتبليغ. لم يترك صلاة التهجد قط. كان يتنقل على دراجته النارية للتبليغ حتى في سن السادسة والسبعين.

كان يقول لأولاده:

لا تقصّروا في التضحية المالية، فهو حق الله، فضحّوا بأكثر ما تستطيعون، وحذارِ أن تستعملوا فلسًا واحدًا من مال الجماعة، لأنكم ستُسألون عنه.

كتب قائد المجموعة لأداء العمرة:

كان المرحوم يردد طوال فترة العمرة: عندما أعود سأبلّغ الناس وأخبرهم أن أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية يؤدون مناسك الحج في مكة.

الطبيب الذي عاينه في مرضه الأخير قال عند وفاته:

يبدو أن الله تعالى أحب أعماله الصالحة، فمنحه شرف الدفن في البقيع. فدُفن فعلًا في جنة البقيع. لا يسمح أعداء الجماعة في باكستان لأحمديّ بدفن أخيه الأحمدي في مقابر المسلمين، بل ويمنعونه حتى من الاقتراب من قبر مسلم آخر، ولكن الله تعالى منحه شرف الدفن في جنة البقيع. فليحاولوا الآن نبش قبره من البقيع أيضا! أنّى لهؤلاء المشايخ أن تكون لديهم مثل هذه القوة، بل قرب الأوان أن يلاقوا عاقبتهم، إن شاء الله.

السيد بناون وردي، سكرتير التبليغ في إندونيسيا، يقول:

كان المرحوم داعية ناجحًا ومتحمسًا جدًّا، جعل شعار "لا يمر يوم بلا تبليغ" جزءًا من حياته. كان يملك دراجة نارية قديمة، وكان يركبها ويصل إلى القرى البعيدة للتبليغ، حتى المناطق التي فيها معارضة شديدة، وأدخل مئات الناس في الجماعة بفضل تبليغه.

كان يرتبط بالخلافة بأواصر المحبة والولاء، وكان موصيًا بفضل الله. خلّف أربع بنات وعشرة من الأحفاد. أحد أصهاره داعية للجماعة كما ذكرت.

نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، ويرفع درجاته. آمين.

*****